تفسير القرآن الكريم

سورة آل‌عمران ١٩-٩-١٤٠٤ ٤٦

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادوي الطهراني

سورة آل‌عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة آل‌عمران

الم(١)

سورة آل‌عمران

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ(٢)

سورة آل‌عمران

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنزَلَ التَّوْرَئةَ وَ الْانجِيلَ(٣)

مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ أَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِايَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ(٤)

سورة آل‌عمران

إِنَّ اللَّهَ لَا يخَفَى عَلَيْهِ شىَءٌ فىِ الْأَرْضِ وَ لَا فىِ السَّمَاءِ(۵)

سورة آل‌عمران

هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(٦)

هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ
مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ
فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِهِ كلُ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ(٧)

سورة آل‌عمران

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا
وَ هَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ
أَنتَ الْوَهَّابُ(٨)

سورة آل‌عمران

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ(٩)

سورة آل‌عمران

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْا وَ أُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ(١٠)

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِايَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ(١١)

سورة آل‌عمران

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلَىَ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهَادُ(١٢)

سورة آل‌عمران

قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ
تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَى كَافِرَةٌ
يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ وَ اللَّهُ
يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَالِكَ
لَعِبرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَرِ(١٣)

سورة آل‌عمران

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَمِ وَ الْحَرْثِ ذَالِكَ مَتَعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَابِ(١٤)

سورة آل‌عمران

قُلْ أَ أُنَبِّئُكُم بِخَيرْ مِّن ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تحَتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا وَ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَ رِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرُ بِالْعِبَادِ(١٥)

سورة آل‌عمران

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ(١٦)

الصَّابِرِينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْمُنفِقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ(١٧)

سورة آل‌عمران

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَئكَةُ وَ أُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائمَا بِالْقِسْطِ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(١٨)

سورة آل‌عمران

إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْاِسْلَامُ وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيَا بَيْنَهُمْ وَ مَن يَكْفُرْ بِايَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ(١٩)

سورة آل‌عمران

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَ
مَنِ اتَّبَعَنِ وَ قُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ
وَ الْأُمِّيِّنَ ءَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ
اهْتَدَواْ وَّ إِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلَاغُ وَ اللَّهُ بَصِيرُ بِالْعِبَادِ(٢٠)

سورة آل‌عمران

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِايَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيرِ حَقٍ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٢١)

سورة آل‌عمران

أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الاَخِرَةِ وَ مَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ(٢٢)

سورة آل‌عمران

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا
مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
وَ هُم مُّعْرِضُونَ(٢٣)

سورة آل‌عمران

ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَ غَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ(٢٤)

سورة آل‌عمران

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ(٢٥)

سورة آل‌عمران

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَ تَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَ تُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيرُ إِنَّكَ عَلَىَ كلُ شىَءٍ قَدِيرٌ(٢٦)

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشَاءُ

- قوله تعالى قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ أمر بالالتجاء إلى الله تعالى الذى بيدَه الخير َعلى الإطلَاق و له القدرة المطلقة ليتخلص من هذه الدعاوى الوهمية التى نشبت فى قلوب المنافقين و المتمردين من الحق من المشركين و أهل الكتاب فضلوا و هلكوا بما قدروه لأنفسهم من الملک و العزة و الغنى من الله سبحانه و يعرض الملتجئ نفسه على إفاضة مفيض الخير و الرازق لمن يشاء بغير حساب.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٢٨

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاءُ

- و الملک بکسر المیم مما نعرفه فیما بیننا و نعهده من غیر ارتیاب فی أصله فمن الملک بکسر المیم ما هو حقیقی و هو کون شیء کالإنسان مثلا بحیث یصح له أن یتصرف فی شیء أی تصرف أمکن بحسب التکوین و الوجود کما یمکن للإنسان أن یتصرف فی باصرته بإعمالها و إهمالها بأی نحو شاء و أراد و کذا فی یده بالقبض و البسط، و الأخذ بها و الترک و نحو ذلک

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۲۸

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاءُ

- و لا محالة بين المالک و ملکه بهذا المعنى رابطة حقيقية غير قابلة التغير يوجب قيام المملوک بالمالک نحو قيام لا يستغنى عنه و لا يفارقه إلا بالبطلان كالبصر و اليد إذا فارقا الإنسان و من هذا القبيل ملکه تعالى (بكسر الميم) للعالم و لجميع أجزائه و شئونه على الإطلاق، فله أن يتصرف فيما شاء كيفما شاء.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۲۹

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاءُ

- و من الملک (بکسر المیم) ما هو وضعی اعتباری و هو کون الشیء کالإنسان بحیث یصح له أن یتصرف فی شیء کیف شاء بحسب الرابطة التی اعتبرها العقلاء من أهل الاجتماع لغرض نیل الغایات و الأغراض الاجتماعیة،

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۲۹

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاءُ

- و إنما هو محاذاة منهم لما عرفوه فی الوجود من الملک الحقیقی و آثاره فاعتبروا مثله فی ظرف اجتماعهم بالوضع و الدعوی لینالوا بذلک من هذه الأعیان و الأمتعة فوائد نظیر ما یناله المالک الحقیقی من ملکه الحقیقی التکوینی.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۲۹

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاءُ

- و لکون الرابطة بین المالک و المملوک فی هذا النوع من الملک بالوضع و الاعتبار نری ما نری فیه من جواز التغیر و التحول فمن الجائز أن ینتقل هذا النوع من الملک من إنسان إلی آخر بالبیع و الهبة و سائر أسباب النقل.

الميزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۲۹

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاءُ

- و أما الملک (بالضم) فهو و إن کان من سنخ الملک (بالکسر) إلا أنه ملک لما یملکه جماعة الناس فإن المليک مالک لما یملکه رعایاه، له أن یتصرف فیما یملکونه من غیر أن یعارض تصرفهم تصرفه، و لا أن یزاحم مشیئتهم مشیئته فهو فی الحقیقة ملک علی ملک، و هو ما نصطلح علیه بالملک الطولی کملک المولی للعبد و ما فی یده، و لهذا کان للملک (بالضم) من الأقسام ما ذکرناه للملک (بالکسر).

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۲۹

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاءُ

- و الله سبحانه مالک کل شیء ملکا مطلقا أما أنه مالک لکل شیء علی الإطلاق فلأن له الربوبیة المطلقة و القیمومة المطلقة علی کل شیء فإنه خالق کل شیء و إله کل شیء،

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۲۹

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشَاءُ

- قال تعالى: «ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ»: المؤمن- ۶۲ و قال تعالى: «لَهُ ما فِی السَّمَاواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ»: البقرة- ۲۵۵، إلى غير ذلك من الآيَات الدالة عَلى أن كل ما يسمى شيئا فهو قائم الذات به مفتقر الذات إليه لا يستقل دونه فلا يمنعه فيما أراده منها و فيها شيء و هذا هو الملک (بالكسر) كما مر.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۳۰

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاءُ

- و أما أنه مليک على الإطلاق فهو لازم إطلاق كونه مالكا للموجودات فإن الموجودات أنفسها يملک بعضها بعضا كالأسباب حيث تملک مسبباتها، و الأشياء تملک قواها الفعالة، و القوى الفعالة تملک أفعالها كالإنسان يملک أعضاءه و قواه الفعالة من سمع و بصر و غير ذلک، و هى تملک أفعالها، و إذ كان الله سبحانه يملک كل شىء فهو يملک كل من يملک منها شيئا، و يملک ما يملكه، و هذا هو الملک (بالضم) فهو مليک على الإطلاق،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۳۰

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاءُ

- قال تعالی: «لَهُ الْمُلْکُ وَ لَهُ الْحَمْدُ»: التغابن- ۱، و قال تعالی: «عِنْدَ مَلِیک مُقْتَدِر»: القمر- ۵۵، إلی غیر ذلک من الآیاتَ، هذَا هوَ الحقَیقَی من الملک و الملک.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۳۰

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاءُ

- و أما الاعتبارى منها فإنه تعالى مالک لأنه هو المعطى لکل من يملک شيئا من المال، و لو لم يملک لم يصح منه ذلک و لکان معطيا لما لا يملک لمن لا يملک، قال تعالى: «وَ آتُوهُمْ مِنْ مالِ اللَّهِ الَّذِی آتاکُمْ»: النور- ٣٣.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣٠

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاءُ

- و هو تعالى مليک يملک ما فی أيدی الناس لأنه شارع حاكم يتصرف بحكمه فيما يملكه النـاس كمـا يتصـرف الملوک فيما عند رعاياهم من المال،

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۳۰

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

- قال تعالى: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ»: الناس- ٢، و قال تعالى: «وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها»: إبراهيم- ٣۴، و قال تعالى: «وَ أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ»: الحديد- ٧، و قال تعالى: «وَ ما لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِلَّهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ»: الحديد- ١٠، وَ قال تعالى: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ»: المؤمن- ١۶، فهو تعالى يملك ما في أيدينا قبلنا وَ يملكه معنا و سيراه بعدنا عز ملكه.

الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣٠

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاءُ

- و من التأمل فيما تقدم يظهر أن قوله تعالى: اللَّهُمَّ مالِکَ الْمُلْکِ، مسوق:

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۳۰

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاءُ

- أولا: لبيان ملكه تعالى (بالكسر) لكل ملک (بالضم) و مالكية الملک (بالضم) هو الملک على الملک (بالضم فيهما) فهو ملک الملوک، الذی هو المعطی لکل ملک ملكه كما قال تعالى: «أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ»: البقرة- ۲۵۸، و قال تعالى: «وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً»: النساء- ۵۴.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۳۰

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاءُ

- و ثانيا: يدل بتقديم لفظ الجلالة على بيان السبب فهو تعالى مالک الملک لأنه الله جلت کبرياؤه و هو ظاهر.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۳۱

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاءُ

- و ثالثا: أن المراد بالملک فی الآیة الشریفة و الله أعلم ما هو أعم من الحقیقی و الاعتباری فإن ما ذکر من أمره تعالی فی الآیة الأولی أعنی قوله: تُؤْتِی الْمُلْکَ مَن تَشَاءُ و تَنْزِعُ الْمُلْکَ ممَّن تشاء و تُعِزُّ مَن تَشَاءُ و تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ علی ما سنوَضحه من شئوَن الملک الاعتباری و ما ذکره فی الآیة الثانیة من شئون الملک الحقیقی فهو مالک الملک مطلقا.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۳۱

تؤتي الملک من تشاء و تنزِع الملک مِمن تَشاءُ

- قوله تعالى: تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْکَ مِمَّنْ تَشاءُ، الملک بإطلاقه شامل لکل ملک حقا أو باطلا عدلا أو جورا فإن الْمُلْک (کما تقدم بیانه فی قوله: «أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ» الآیة: البَقرة- ۲۵۸) فی نفسه موهبة من مواهب الله و نعمة یصلح لأن یترتب علیه آثار حسنة فی المجتمع الإنسانی و قد جبل الله النفوس علی حبه و الرغبة فیه،

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۳۱

تؤتي الملک من تشاء و تنزِع الملک مِمن تَشاءُ

- و الملک الذی تقلده غير أهله ليس بمذموم من حيث إنه ملک، و إنما المذموم إما تقلد من لا يليق بتقلده كمن تقلده جورا و غصبا، و إما سيرته الخبيثة مع قدرته على حسن السيرة، و يرجع هذا الثانی أيضا بوجه إلى الأول.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۳۱

تؤتي الملک من تشاء و تنزِع الملک مِمن تَشاءُ

- و بوجه آخر يكون الملک بالنسبة إلى من هو أهله نعمة من الله سبحانه إليه، و بالنسبة إلى غير أهله نقمة و هو على كل حال منسوب إلى الله سبحانه و فتنة يمتحن به عباده.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۳۱

تؤتي الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء

- و قد تقدم: أن التعليق على المشيئة فى أفعاله تعالى كما فى هذه الآية ليس معناه وقوع الفعل جزافا تعالى عن ذلك بل المراد عدم كونه تعالى مجبرا فى فعله ملزما عليه فهو تعالى يفعل ما يفعل بمشيته المطلقة من غير أن يجبره أحد أو يكرهه و إن جرى فعله على المصلحة دائما.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣١

تُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَن تَشَاءُ

- قوله تعالى: وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ، العز كون الشيء بحيث يصعب مناله، و لذا يقال للشيء النادر الوجود إنه عزيز الوجود أى صعب المنال، و يقال عزيز القوم لمن يصعب قهره و الغلبة عليه من بينهم فهو صعب المنال بالقهر و الغلبة، و صعب المنال من حيث مقامه فيهم و وجدانه كل ما لهم من غير عكس ثم استعمل فى كل صعوبة كما يقال: يعز على كذا.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣١

تُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَن تَشَاءُ

- قال تعالى: «عَزِيزٌ عَلَيْه مـا عَنـتُّمْ»: التوبـة- ١٢٨، أى صعب عليه. و اَستعمل فى كل غلبة كما يقال. من عز بز أى من غلب سلب، قال تعالى: «وَ عَزَّنى فى الْخطاب»: ص- ٢٣، أى غلبنى و الأصل فى معناه مَا مر. وَ يقابَله الذل و هو سهولة المنال بقهر محقـق أو مفـروض قـال تعالى: «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ»: البقرة- ٦١، و قال تعالى: «وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ»: الإسراء- ٢٤، و قال تعالى أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنينَ»: المائدة- ٥۴.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣٢

تُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَن تَشَاءُ

- و العزة من لوازم الملک علی الإطلاق و کل من سواه إذا تملک شیئا فهو تعالی خوله ذلک و ملکه، و إن ملک علی قوم فهو تعالی آتاه ذلک فکانت العزة له تعالی محضا و ما عند غیره منها فإنما هو بإیتائه و إفضاله. قال تعالی: «أَ یَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِیعاً»: النساء- ۱۳۹ و قال تعالی: «وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ»: المنافقون- ۸ و هذه هی العزة الحقیقیة و أما غیرها فإنما هی ذل فی صورة عز.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۳۲

تُعزُّ مَن تَشَاءُ وَ تُذلُّ مَن تَشَاءُ

- قال تعالى: «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِی عِزَّةٍ وَ شِقَاقٍ»: ص- ٢ وَ لِذا أَردفه بِقوله «كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَ لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ»: ص- ٣.
- و للذل بالمقابلة ما يقابل العز من الحكم فكل شيء غيره تعالى ذليل في نفسه إلا من أعزه الله تعالى (تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ).

الميزان فی تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣٢

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- قوله تعالى: بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الأصل فى مَعنَى الخير هو الانتخاب و إنما نسمى الشيء خيرا لأنا نقيسه إلى شيء آخر نريد أن نختار أحدهما فننتخبه فهو خير و لا نختاره إلا لكونه متضمنا لما نريده و نقصده فما نريده هو الخير بالحقيقة، و إن كنا أردناه أيضا لشيء آخر فذلك الآخر هو الخير بالحقيقة، و غيره خير من جهته،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣٢

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- فالخير بالحقيقة هو المطلوب لنفسه يسمى خيرا لكونه هو المطلوب إذا قيس إلى غيره، و هو المنتخب من بين الأشياء إذا أردنا واحدا منها و ترددنا فى اختياره من بينها.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣٢

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- فالشيء كما عرفت إنما يسمى خيرا لكونه منتخبا إذا قيس إلى شيء آخر مؤثرا بالنسبة إلى ذلک الآخر ففی معناه نسبة إلى الغير و لذا قيل: إنه صيغة التفضيل و أصله أخير. و ليس بأفعل التفضيل، و إنما يقبل انطباق معنى التفضيل على مورده فيتعلق بغيره كما يتعلق أفعل التفضيل، يقال: زيد أفضل من عمرو، و زيد أفضلهما، و يقال:زيد خير من عمرو، و زيد خيرهما.
-

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۳۲

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- و لو كان خير صيغة التفضيل لجرى فيه ما يجرى عليه، و يقال أفضل و أفاضل و فضلى و فضليات، و لا يجرى ذلک فى خير بل يقال: خير و خيرة و أخيار و خيرات كما يقال: شيخ و شيخة و أشياخ و شيخات فهو صفة مشبهة.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۳۳

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- و مما يؤيده استعماله فى موارد لا يستقيم فيه معنى أفعل التفضيل كقوله تعالى: «قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ»: الجمعة- ١١، فلا خير فى اللهو حتى يستقيم معنىَ أفعل، و قد اعتذروا عنه و عن أمثاله بأنه منسلخ فيها عن معنى التفضيل، و هو كما ترى. فالحق أن الخير إنما يفيد معنى الانتخاب، و اشتمال ما يقابله من المقيس عليه على شيء من الخير من الخصوصيات الغالبة فى الموارد.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣٣

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- و يظهر مما تقدم أن الله سبحانه هو الخير على الإطلاق لأنه الذى ينتهى إليه كل شىء، و يرجع إليه كل شىء، و يطلبه و يقصده كل شىء لكن القرآن الكريم لا يطلق عليه سبحانه الخير إطلاق الاسم كسائر أسمائه الحسنى جلت أسماؤه، و إنما يطلقه عليه إطلاق التوصيف كقوله تعالى: «وَ اللَّهُ خَيْرٌ وَ أَبْقى»: طه- ٧٣، و كقوله تعالى: «أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ»: يوسف- ٣٩.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣٣

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- نعم وقع الإطلاق علي نحو التسمية بالإضافة كقوله تعالى: «وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»: الجمعة- ١١، و قوله: «وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ»: الأعراف- ٨٧، و قوله «وَ هُوَ خَيْرُ الْفاصِلِينَ»،: الأنعام- ٥٧ و قوله: «وَ هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ»: آل عمران- ١٥٠، و قوله «وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ»: آل عمران- ٥٤، و قوله: «وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ»: الأعراف- ٨٩، و قوله: «وَ أَنْتَ خَيْرُ الْغافِرِينَ»: الأعراف- ١٥٥، و قوله: «وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ»: الأنبياء- ٨٩، و قوله: «وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ»: المؤمنين- ٢٩، و قوله: «وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ»: المؤمنون- ١٠٩.

اَلمِيزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣٣

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- و لعل الوجه فی جمیع ذلک اعتبار ما فی مادة الخیر من معنی الانتخاب فلم یطلق إطلاق الاسم علیه تعالی صونا لساحته تعالی أن یقاس إلی غیره بنحو الإطلاق و قد عنت الوجوه لجنابة، و أما التسمیة عند الإضافة و النسبة، و کذا التوصیف فی الموارد المقتضیة لذلک فلا محذور فیه.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۳۳

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- و الجملة أعنى قوله تعالى: بِيَدِكَ الْخَيْرُ تدل على حصر الخير فيه تعالى لمكان اللام و تقديم الظرف الذى هو الخبر، و المعنى أن أمر كل خير مطلوب إليك، و أنت المعطى المفيض إياه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣٤

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- فالجملة فی موضع التعلیلِ لما تقدمت علیها من الجمل أعنی قوله: تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ «إلخ» من قبیل تعلیل الخاص بما یعمه و غیره أعنی أن الخیر الذی یؤتیه تعالی أعم من الملک و العزة، و هو ظاهر.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۳۴

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- و كما يصح تعليل إيتاء الملک و الإعزاز بالخير الذى بيده تعالى كذلک يصح تعليل نزع الملک و الإذلال فإنهما و إن كانا شرين لكن ليس الشر إلا عدم الخير فنزع الملک ليس إلا عدم الإعزاز فانتهاء کل خير إليه تعالى هو الموجب لانتهاء كل حرمان من الخير بنحو إليه تعالى نعم الذى يجب انتفاؤه عنه تعالى هو الاتصاف بما لا يليق بساحة قدسه من نواقص أفعال العباد و قبائح المعاصى إلا بنحو الخذلان و عدم التوفيق كما مر البحث عن ذلک.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۳۴

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- و بالجملة هَناكَ خير و شر تكوينيان كالملگ وَ العزة و نزع الملک و الذلة، و الخير التكوينى أمر وجودى من إيتاء الله تعالى، و الشر التكوينى إنما هو عدم إيتاء الخير و لا ضير فى انتسابه إلى الله سبحانه فإنه هو المالک للخير لا يملكه غيره، فإذا أعطى غيره شيئا من الخير فله الأمر و له الحمد، و إن لم يعط أو منع فلا حق لغيره عليه حتى يلزمه عليه فيكون امتناعه من الإعطاء ظلما، على أن إعطاءه و منعه كليهما مقارنان للمصالح العامة الدخيلة فى صلاح النظام الدائر بين أجزاء العالم.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣٤

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- و هناک خير و شر تشريعيان و هما أقسام الطاعات و المعاصى، و هما الأفعال الصادرة عن الإنسان من حيث انتسابها إلى اختياره، و لا تستند من هذه الجهة إلى غير الإنسان قطعا، و هذه النسبة هى الملاک لحسنها و قبحها و لو لا فرض اختيار فى صدورها لم تتصف بحسن و لا قبح، و هى من هذه الجهة لا تنتسب إليه تعالى إلا من حيث توفيقه تعالى و عدم توفيقه لمصالح تقتضى ذلک.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣٤

بِيَدِکَ الْخَيْرُ إِنَّکَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- فقد تبين: أَنَ الخير كله بيد الله و بذلک ينتظم أمر العالم فی اشتماله علی کل وجدان و حرمان و خير و شر.
-

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۱۳۴

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- و قد ذكر بعض المفسرين: أن فى قوله: بِيَدِكَ الْخَيْرُ إيجازا بالحذف، و التقدير:بيدک الخير و الشر كما قيل نظير ذلک فى قوله تعالى: «وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ»: النحل- ٨١، أى و البرد.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣٥

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- و كان السبب فى ذلک الفرار عن الاعتزال لقول المعتزلة بعدم استناد الشرور إليه تعالى: و هو من عجيب الاجتراء على كلامه تعالى، و المعتزلة و إن أخطئوا فى نفى الانتساب نفيا مطلقا حتى بالواسطة لكنه لا يجوز هذا التقدير الغريب، و قد تقدم البحث عن ذلک و بيان حقيقة الأمر.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣٥

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- قوله تعالى: إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فى مقام التعليل لكون الخير بيده تعالى فإن القدرة المطلقة على كل شيء توجب أن لا يقدر أحد على شيء إلا بإقداره تعالى إياه على ذلك، و لو قدر أحد على شيء من غير أن تستند قدرته إلى إقداره تعالى كان مقدوره من هذه الجهة خارجا عن سعة قدرته تعالى فلم يكن قديرا على كل شيء،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣٥

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- و إذا كانت لقدرته هذه السعة كان كل خير مفروض مقدورا عليه له تعالى، و كان أيضا كل خير إفاضة غيره منسوبا إليه مفاضا عن يديه فهو له أيضا فجنس الخير الذى لا يشذ منه شاذ بيده، و هذا هو الحصر الذى يدل عليه قوله تعالى: بِيَدِكَ الْخَيْرُ.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٣٥